نص " سارق الفرحة" لأحمد عبد السلام ما بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

سأتناول في هذه الدراسة نص "سارق الفرحة" للكاتب المصري أحمد عبد السلام من زاوية كونه ومضة قصصية أم قصة قصيرة جدا، وسأبدأ بتناول جماليات النص في حد ذاته، ثم سأتناول هويته التجنيسية في فن القص. وها هو النص:

خلطَ الأوراقَ بِخفةٍ، اخترْتُ بِثقةٍ، خوَتْ جُيوبِي، طفحَتْ مَشاعِرِي، أفسحْتُ لِغرٍّ آخرَ.

يتكون النص من خمس جمل فعلية قصيرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: بداية الفعل في أول جملتين؛ نتيجة هذا الفعل في الجملتين الثالثة والرابعة، ونتيجة هذه النتيجة ونهاية النص والحدث ككل في الجملة الخامسة.

بالنسبة لبداية الحدث، يبدأ النص بما تقوم به الشخصية الأخرى، وبرد فعل الراوي وسلوكه المبني على سلوك الشخصية الأخرى. من الواضح هنا أن السياق سياق لعبة ورق كالكوتشينة أو غيرها. ومن الطبيعي في مثل هذه اللعبة أن يتم "خلط الأوراق" أو "تفنيطها"، وهذا الخلط يتم بخفة تقارب الرشاقة والسلاسة والطبيعية.

لكن تعبير "خلط الأوراق" في اللغة العربية له دلالة أخرى لا تغيب عن سياق النص هنا: أي أن التعبير الذي يستعمله الراوي، وربما لا يدرك دلالته على مستوى الوعي عند استعماله، له مستويان في الدلالة: مستوى مباشر يتعلق بقواعد اللعبة التي يلعبانها سويا، وهو مستوى طبيعي ولا يؤدي إلى إثارة الشك، ومستوى غير مباشر يساهم به لاوعي الراوي: أي أن هذا الراوي يشارك على مستوى الوعي في لعبة يلتزم بقوانينها، وعلى مستوى اللاوعي يدرك أو يحدس أن ما يقوم به اللاعب الآخر "خلط للأوراق"، والخلط هنا قرين الغش والاحتيال والنص والتلاعب بالقوانين. ولكن في

هذه المرحلة لا يدرك الراوي ذلك، فها هو يختار الأوراق بثقة، وكأنه يثق في اللاعب وفي اللعبة وفي مشاركته فيها. والفعل "اخترت" يدل ظاهريا على أن الراوي لديه حرية اختيار يقوم بتفعيلها في هذه اللعبة.

ولكننا عندما ننتقل إلى "جسد" النص ذاته ندرك دلالة خلط الأوراق، وندرك أيضا أن حرية الاختيار لم تكن حرية، لأن الخلط والتلاعب حوَّلا الراوي إلى لعبة في يد اللاعب الآخر، وكأن اللعبة ليست لعبة ورق وإنما لعبة بالراوي ذاته.

ففي هذا الجزء من النص لا يظهر الراوي بوصفه فاعلا في الجملة، وإنما يظهر من خلال ضمير المتكلم المرتبط بالمشاعر والجيوب. وعندما نتأمل الفعلين اللذين يستعملها بالإشارة إلى مشاعره وجيوبه نجد أن المشاعر "تطفح" والجيوب "تَخْوِي": أي أن اللعبة أدت إلى فراغ جيوبه وكأنها كانت تستهدف هذه الجيوب في الأساس، الأمر الذي يبرز دلالة "خلط الأوراق": فاللعبة تتحول إلى وسيلة سطو وابتزاز، الأمر الذي يجعل مشاعر الراوي المريرة أو

المؤلمة أو الرافضة أو المتمردة تطفح وتظهر على سطح انفعالاته أو وعيه، وهنا ينتقل مفهوم "خلط الأوراق" ودلالته من مستوى اللاوعي إلى مستوى الوعي.

وهنا تأتي نهاية النص لتستثمر هذا الوعي، فيقرر الراوي أن يترك اللعبة بأكملها، وفي الوقت ذاته يعترف بأنه كان ساذجا عندما شارك فيها وترك نفسه للخيوط التي يصنعها اللاعب الآخر حول جيوبه وحول مشاعره. ولكنه وعي قاصر، فبدلا من أن يتمرد الراوي على اللعبة ككل ويكشف زيفها وتحايلها وابتزازها، يفسح المجال لشخص آخر ليتعرض لما تعرض له الراوي ذاته، وكأن هذه اللعبة دائرة لابد أن تصيب الجميع وتوقعهم في حبائلها.

بعد أن قمت بتحليل النص بالتفصيل، هناك سؤال يطرح نفسه بقوة، ألا وهو: هل هذا النص ومضة قصصية أم قصة قصيرة جدا؟

وللإجابة على هذا السؤال، علينا أن ندرك أولا أن عدد الكلمات – أو معيار الحجم – ليس معيارا دقيقا للتمييز بين

الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا. فوفقا لمعيار الحجم وحده، تنتمي الومضة القصصية بوجه عام للقصة القصيرة جدا ولا حاجة لنا لتمييزها في نوع قصصي مستقل.

الومضة القصصية بوجه عام تسلط الضوء على لحظة زمنية فارقة في حياة الشخصية، وهي لحظة اكتشاف، أو لحظة تنوير، أو لحظة إدراك، أو لحظة تعرُّف على شيء كان غائبا عن وعي الشخصية أو الراوي، أو حتى على روح تجربة كاملة بحيث يقدم لنا نص الومضة أبرز ما في هذه التجربة من خلال تسليط الضوء على عنصر واحد فيها وقد تأتي العناصر الأخرى في النص بطريقة غير صريحة كالإيحاء والإضمار والتناص والإتباع التركيبي وما إلى ذلك.

والحدث في "سارق الفرحة" حدث ممتد في الزمان قد يستغرق ساعات كاملة ما بين خلط الأوراق والاستمرار في اللعب واستنزاف الراوي ماديا في عملية القمار، ومن ثمَّ بدء هذا الراوي في التفكير في اللعبة بأكمها، ومراجعة ما حدث

معه، ليصل في النهاية إلى لحظة الإدراك المتمثلة في طفح المشاعر والابتعاد عن اللعبة لإفساح المجال للاعب آخر. فهذا الحدث الممتد لا يمكن تصويره أو الكشف عنه من خلال ضوء فلاش خاطف، وإنما يمكن تصوير بكاميرا فيديو ويمتد التصوير لساعات. ولذاك يُعتبر هذا النص قصة قصيرة جدا بالرغم من قلة عدد كلماته. ولو قام الراوي بذكر تفاصيل أكثر في النص يمكن لهذا النص أن يتحول إلى قصة قصيرة أيضا.